مكتبة الأسرة
1999

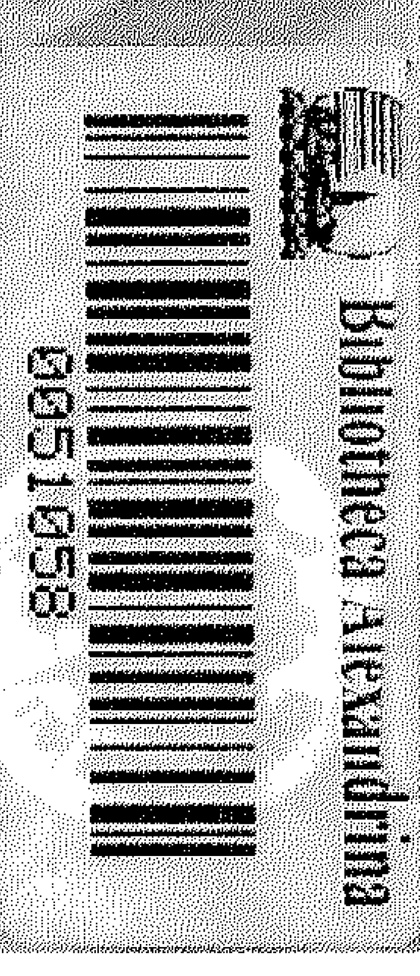
مهرجان القراءة للجميع

تبسيط أعمال كبار الأدباء

أحمد عرابى

الزعيم المصرى الفلاح

إعداد : د. إسماعيل عبد الفتاح



أحمد عرابى

أحمد عرابى

الزعيم المصرى الفلاح

إعداد: د. إسماعيل عبدالفتاح



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة رموز مصرية)

أحمد عرابى

الزعيم المصرى الفلاح

إعداد : د. إسماعيل عبدالفتاح

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة
المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ الذى يتلهفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

أصـــدقائى . . .

أحمد عرابى زعيم وقائد أول ثورة مصرية فى العصر الحديث ، وهو زعيم نبت بين أبناء الشعب المصرى ، وواجه الطغاة والظالمين ، حتى استطاع أن يحقق لمصر الكثير .

ونقدم الان قصة حياة هذا البطل المصرى كما قدمها المؤرخ الكبير محمود الخفيف الذى أهدى كتابه إليكم ياأصدقائى فقال « إلى الأشبال النواهض الميامين من شباب هذا الجيل فى وادينا المبارك وفى الاقطار العربية الشقيقة ، أهدى سيرة هذا الزعيم المصرى الفلاح الذى جاهد فى سبيل الحق ومات على دين الحق ، والذى آن أن ينصفه التاريخ وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية .

فإلى سيرة هذا الزعيم الكبير . . .

ولد أحمد عرابى فى شهر مارس عام ١٨٤١ فى قرية « هرية رزنة » التابعة للزقازيق ، وكان أبوه محمد عرابى شيخ القرية ، وكان عالما يلقى الدروس فى المسجد ، ودخل أحمد عرابى فى طفولته كتاب القرية ، فحفظ أغلب القرآن وتعلم مبادىء القراءة والكتابة ، كما تعلم مبادىء الحساب .

مات أبوه وهو فى الثامنة من عمره ، ولكنه استطاع أن يلتحق بالأزهر الشريف وظل به أربع سنوات تعلم فيها الفقه والتفسير والنحو وحفظ القرآن كله ، ولم يكمل دراسته الأزهرية وعاد للقرية .

نشأ فى القرية يخالط الفلاحين ويتحدث إليهم ، ولكن سرعان ما التحق بالجيش عندما أراد سعيد باشا والى مصر النهوض بالجيش المصرى فأمر بتجنيد أبناء المشايخ والعمد فى صفوف الجيش .

وانتظم أحمد عرابى جنديا فى صفوف الجيش ، ورفض القيام بالأعمال الكتابية ، واستطاع بإجادته للقراءة والكتابة أن يترقى ، ففى خلال سنوات قليلة استطاع ان يصل الى رتبة « نقيب » وكان عمره ١٧ عاما ، ثم وصل بعد عامين الى رتبة « رائد » فكان أول مصرى يحصل على هذه الرتبة . واستطاع أن يتفوق على ضباط الجيش من الشراكسة والأتراك .





واختاره والى مصر رفيقا له فى رحلته إلى الأراضى الحجازية ، واستغل الرحلة فقرأ تاريخ نابليون فأعجب به وبالجيوش المدربة التى قادها . واستطاع والى مصر سعيد باشا أن يحبب إليه قلوب الناس وقلب عرابى وذلك بحبه لمصر وللمصريين وبميله لوجود المصريين فى الجيش .

وتولى الخديوى اسماعيل عام ١٧٦٣ حكم مصر ، وكان على النقيض من سعيد فتزايد فى عهده نفوذ انجلترا وفرنسا ، وذلك لإستدانته منهما وشقه لقناة السويس فحاولت الدولتان السيطرة على مصر . كما كان الخديوى إسماعيل يميل الى الأتراك والشراكسة مما أدى إلى الخلاف بين عرابى وقائده الشركسى ، ففصل أحمد عرابى من الجيش ، فزاد ذلك من غضبه على الشراكسة وعاد لبلدته .

وظل عرابى ثلاث سنوات حتى عفا عنه الخديوى ، وعاد للخدمة ثم أحيل للاحتياط ثم عاد للجيش مرة أخرى وبرتبته العسكرية القديمة ولم تتم ترقيته مع زملائه وظل ثمانية أعوام يعمل ولم تتم ترقيته إلا فى عهد توفيق .

وذهب عرابى مع الجيش الى الحبشة ، وعاد ساخطا على فشل الحملة مع كل الضباط ، وبعد عودة الحملة حدثت مظاهرة فى فبراير عام ١٨٧٨ قادها الضباط وتوجهوا لوزير المالية للمطالبة بمرتباتهم المتأخرة واعتدى الضباط على الوزير وعلى رئيس الوزراء حتى جاء الخديوى ليهدىء من روع الضباط . ولكن مهمة تدبير المظاهرة وجهت لعرابى ولبعض من زملائه رغم أن عرابى كان فى رشيد يوم الحادث ، فعقدت له ولزملائه محكمة عسكرية قضت بتوبيخهم ونقلهم الى المناطق النائية ، فانتقل عرابى الى الاسكندرية فازدادت كراهية عرابى للخديوى اسماعيل رغم إستدانته لعمل بعض الاصلاحات فى الزراعة والرى . وتزايد نفوذ انجلترا وفرنسا وتدخلهما فى شئون مصر .



وفى عهد الخديوى اسماعيل تم انشاء مجلس شورى النواب ليكون مجلسا نيابيا ، واستطاع المجلس أن يحصل على الإختصاصات ، واستقالت الوزارة التى يرأسها توفيق نتيجة زيادة سلطة المجلس ، وأصدر الخديوى اسماعيل العهد الدستورى فى عام ١٨٧٩ ، ففرح المصريون ، ولكن انجلترا وفرنسا لم يعجبهما ذلك ، فعملا على عزل الخديوى اسماعيل وتم عزله بالفعل وخلفه ابنه توفيق الذى تخلص من وزارة شريف باشا ومن الحركة القومية .

وبدأ توفيق يستغنى عن عدد كبير من الجنود الوطنيين ، وتولى وزارة الحربية عثمان رفقى الشركسى الذى منع ترقية المصريين ، وبدأ يعزل الضباط الوطنيين وينقلهم الى أعمال أخرى ، كما قام بتسخير الجنود فى أعمال ليست لها صلة بالجيش مثل شق الترع والزراعة فى أرض الخديوى ولكن عرابى عارض ذلك .



كما حاول عثمان رفقى نقل عرابى وزملائه إلى أعمال أخرى ، فاجتمع الضباط فى منزل عرابى فى يناير ١٨٨١ وتدارسواالأمر ، وقرروا التصدى للشراكسة ، وأقسموا على فداء الوطن وطاعة عرابى ، وكتبوا شكوى لرئيس الوزراء من تعصب عثمان رفقى ، واهداره حقوق الوطنيين ، وطالبوا بعزل عثمان رفقى ورفع الجيش المصرى الى ١٨ ألف جندى ، وتعديل القوانين العسكرية للمساواة بين الجميع . ثم قابلوا رئيس الوزراء ، وفوجىء بجرأة الضباط فهددهم ، ولكنه عمل على تهدئتهم ، فحاول إقناع الضباط بسحب عريضة الشكوى . وظل يراوغهم إسبوعين حتى قرر إتباع العنف مع الضباط والقبض عليهم ومحاكمتهم عسكرياً .



وجاءت حادثة قصر النيل : التى دُعِى الضباط الى ديوان الوزارة فى قصر النيل بحجة الإستعداد لزفاف إحدى الأميرات ، فَشكَّ الجميع فى الأمر ، فاتفق عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى مع فرقهم على الذهاب إليهم إذا تأخرت عودتهم ساعتين . وبالفعل بمجرد دخولهم الوزارة فى أول فبراير ١٨٨١ حتى قبض عليهم وأودعوا السجن ، وتعرضوا للسباب من جانب الشراكسة ، وتم عزلهم وعين مجلس عسكرى لمحاكمتهم .

وشاع الخبر فى الجيش ، فسارع الجميع الى نجدة المحبوسين وسارت فرق الجيش فحاصرت قصر النيل حتى هرب عثمان رفقى من إحدى النوافذ ، واستطاع رجال الجيش اطلاق سراح الضباط ، وذهب الجميع الى الخديوى ليعرضوا شكواهم ، وهنا تغلبت الحكمة على القوة ، فأصدر الخديوى قراراً بعزل عثمان رفقى من وزارة الحربية ووعدهم بالنظر فى بقية طلباتهم وأعادهم لمناصبهم .

وأدى انتصار عرابى وزملائه فى قصر النيل الى ذيوع صيته فى كل مصر ، وانتصاره الساحق وتحقيق مطالب الجيش ، فأصبح بطلاً شعبياً ، وأُعْجِبَ الشعب المصرى بجراة عرابى وزملائه . وأصبح بيت عرابى مقصداً للمواطنين ولرجال الجيش وملتقى لزعماء الحركة الوطنية وملتقى لزعماء حركة الإصلاح فى الأزهر ولرجال الحزب الوطنى ، وسرعان ماالتقت إرادة الوطنيين والعسكريين على الحرية والدستور .



وعَيْنَ الخديوى محمود سامى البارودى وزيراً للحربية ، فأجَابَ مطالب الجيش وأَصلحَ أحوال الجيش .

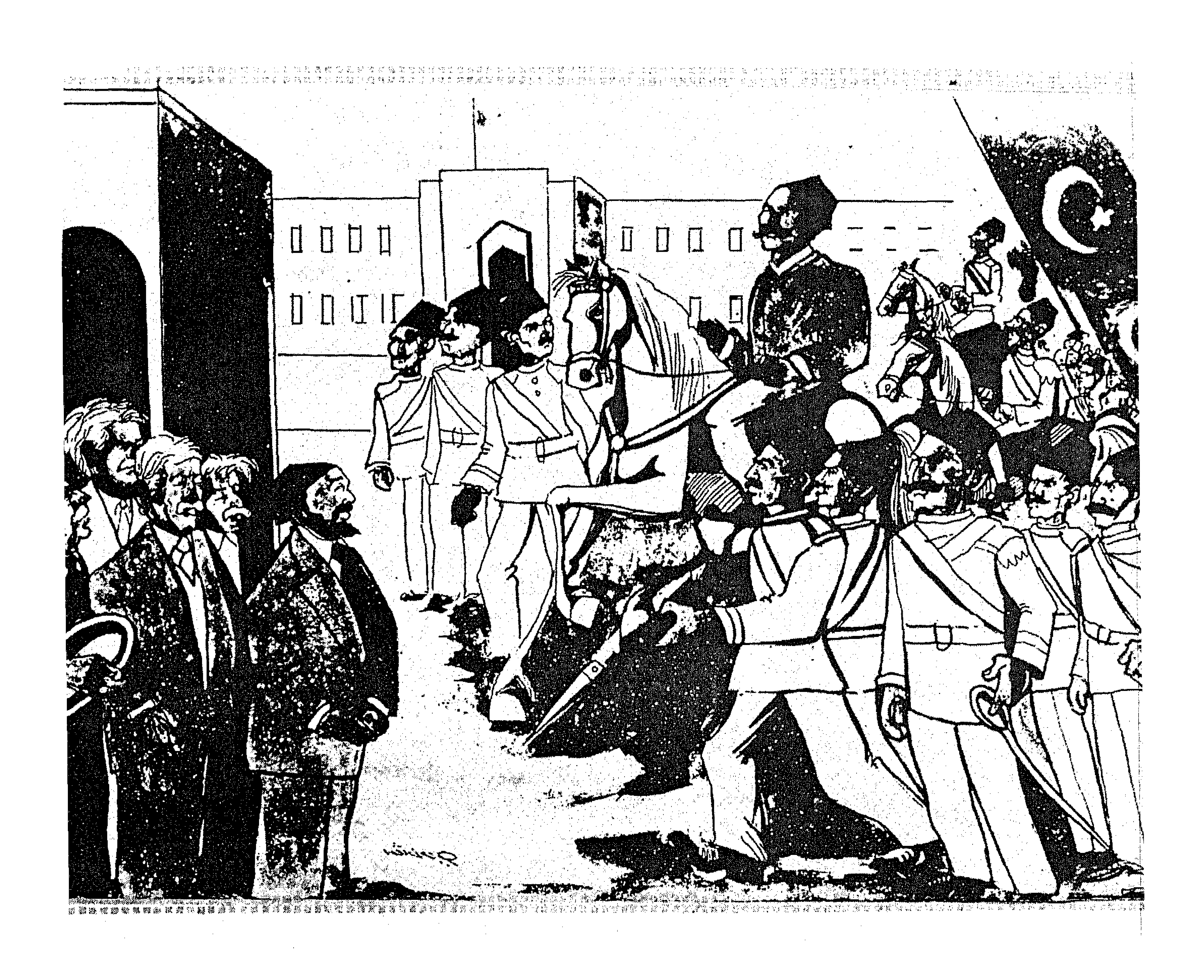
ولكن الدسائس والمؤامرات تزايدت ، وبدأت الخطوات لشق صف الضباط الوطنيين ، فطلبت الحكومة سفر فرقة عبد العال حلمى للسودان ، وأصدر الخديوى أمراً بإطلاق النار للقضاء على حركة الضباط ، ورفض الجنود المشاركة فى حفر الرياح التوفيقى فاستقال البارودى ، وعُيِنَ داود يكن باشا مكانه ، وكان ينفذ أوامر الخديوى بمعاملة رجال الجيش بمنتهى الصرامة ، فَحَظَرَ الاجتماع وحَظَرَ التحدث فى السياسة ، ولكن الجنود رفضوا أوامره والتفوا حول عرابى وزملائه .

وبدأ عرابى نشاطاً كبيراً ليجمع صفوف العسكريين والوطنيين على ضرورة عودة الدستور الذى ألغاه الخديوى توفيق ، فأرسل يخبر السلطان العثمانى بتركيا بالموقف فى مصر ، وأرسل لأعيان البلاد يُخْبِرهم بالموقف ، فجاءته مئات العرائض من كافة جموع الشعب تعرض نيابة عرابى للتحدث بإسم الأمة للاصلاح المنشود فى البلاد .

واستعد عرابى ليقوم بحركته الخالدة لمواجهة الحكام ، فأبلغ وزير الحربية أن يبلغ الخديوى باعتزام فرق الجيش الحضور لساحة عابدين عصر يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ لعرض طلبات الأمة ، وهى تتعلق بإصلاح البلاد ، كما أبلغ قناصل الدول بذلك وأن المظاهرة ستكون سلمية وستقتصر على أحوال البلاد .

وَذُعِرَ الخديوى ورئيس الوزراء ، وحاول كل منهما إقناع عرابى بالعدول عن المظاهرة ولكن عرابى رفض ، وحاولا شق صفوف الجيش ولكنهما فشلا .

حركة ٩ سبتمبر ١٨٨١ : وفى هذا اليوم تحركت وحدات الجيش المختلفة ووصلت الى ميدان عابدين فى تمام الساعة الرابعة عصراً وتلاقت الوحدات وبلغت القوة أربعة آلاف جندى ومعهم أسلحتهم ، وتجمع وراءهم الآلاف من أهل القاهرة ، كما انضم اليهم الحرس الخاص بالخديوى .



وجاء الخديوى للميدان ومعه المندوب الانجليزى وبعض الضباط الأوربيين ، وتقدم الخديوى ، وتقدم منه عرابى على ظهر جواده حتى اذا ما اقترب من الخديوى نزل من فوق جواده وسار ناحية الخديوى ومن حوله خمسون ضابطاً مصريا ، فأدى التحية العسكرية ووضع السيف فى جرابه ، وطلب الخديوى من الضباط والجنود اغماد سيوفهم والعودة لوحداتهم ، فلم يعبأ احد بكلامه .

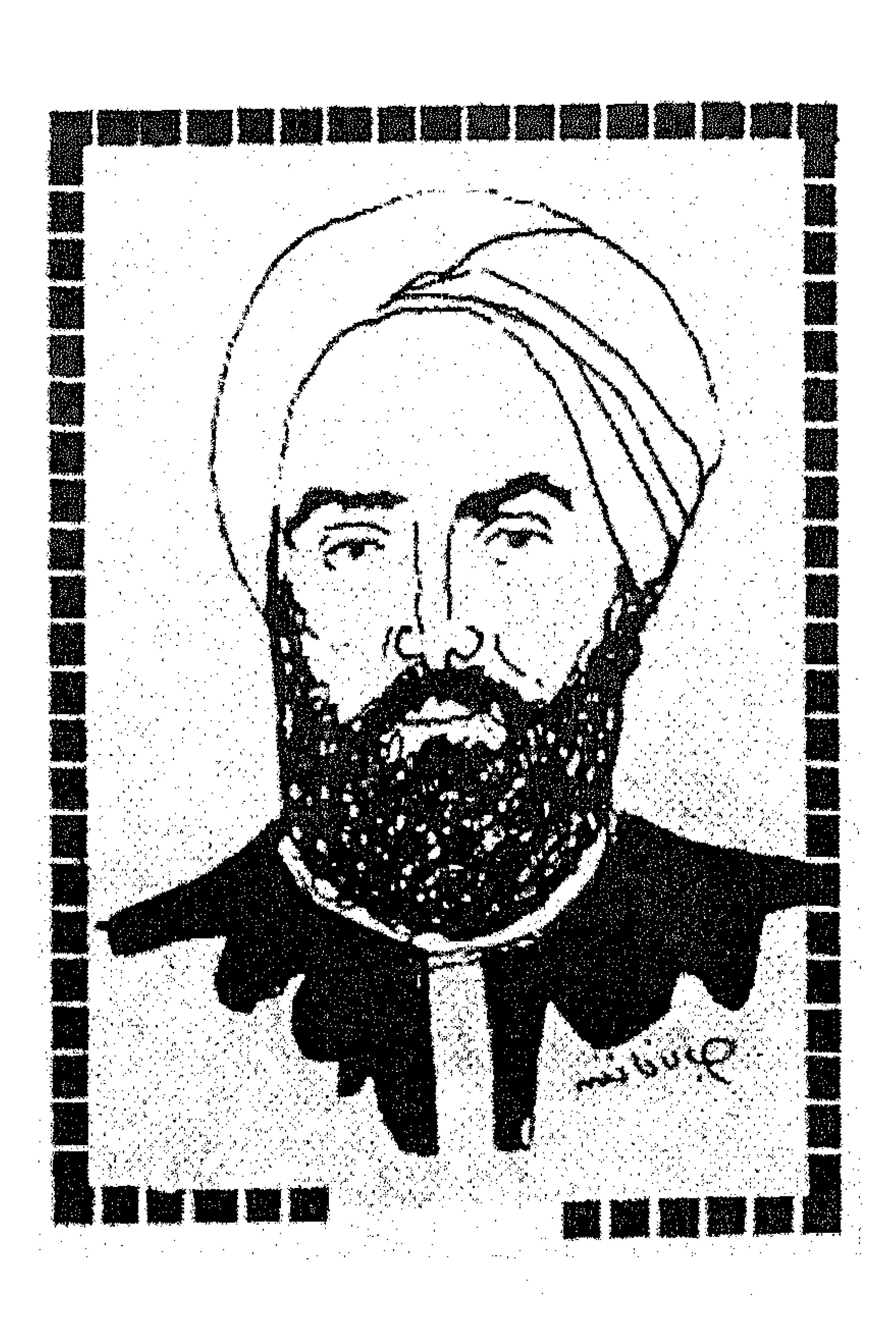
وسأل الخديوى عرابى : ماأسباب حضورك الى هنا؟! .
ورد عرابى : جئنا يامولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة !
وسأل الخديوى : وما هى هذه الطلبات ؟

فقال عرابى : إسقاط الوزارة المُسْتَبِدة ، وتشكيل مجلس نواب على النسق الأوربى ، وإيصال الجيش الى العدد المحدد فى الفرمانات السلطانية والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها .

فرد الخديوى :كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها ، وأنا ورثت هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلاعبيد إحساناتنا .

فقال عرابى :لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً أوعقاراً ، فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لانورث ولانستعبد بعد اليوم !

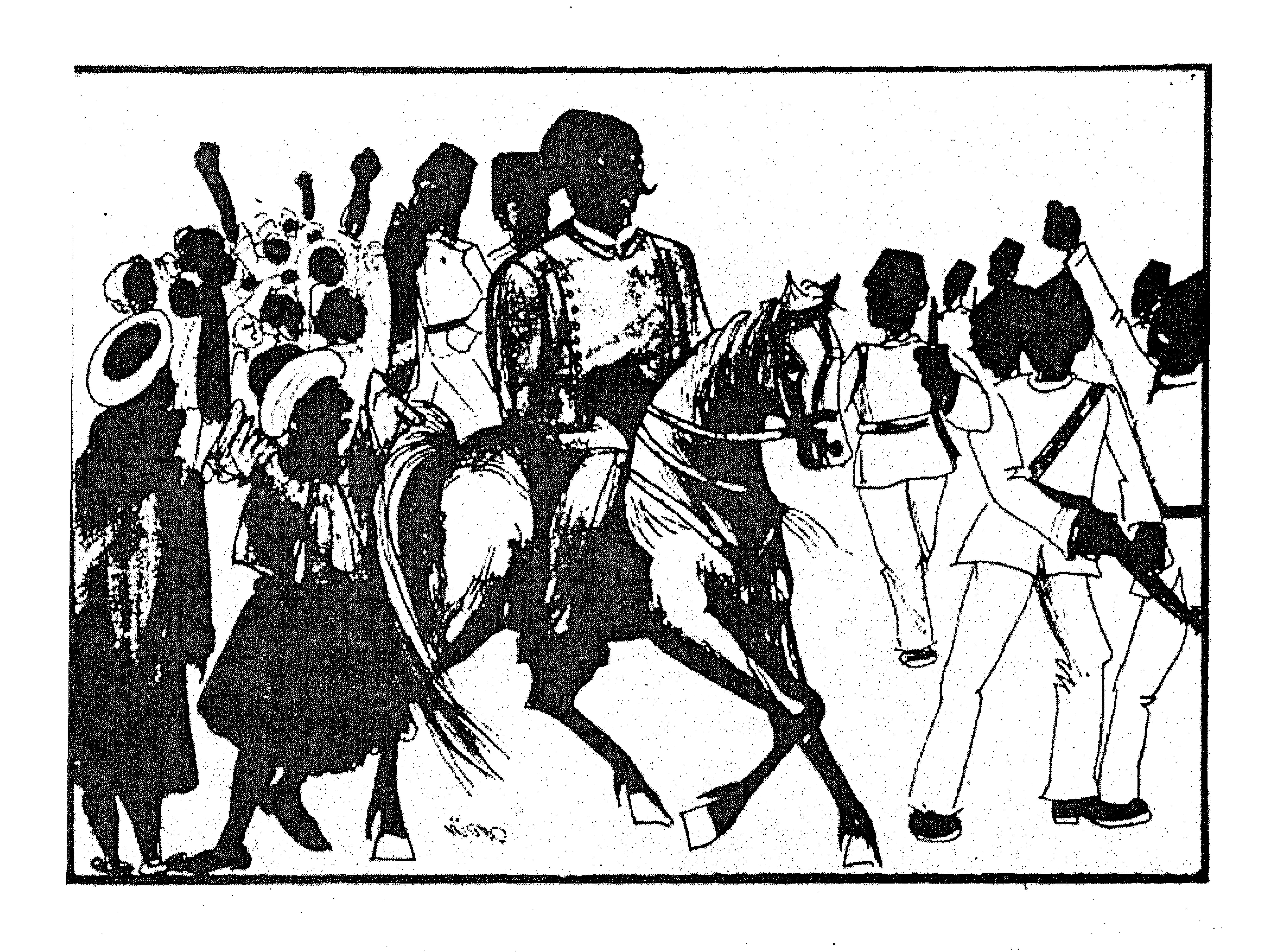
فتهامس الخديوى مع من حوله ، ثم عادوا الى القصر ، وبقى الجيش فى مكانه ، وأرسل الخديوى القنصل الإنجليزى ليفاوض عرابى ، وتمسك عرابى بجميع الطلبات لأن الأمة فوضته فى ذلك ، حتى وافق الخديوى على إسقاط الوزارة وعلى بقية الطلبات ، وتمسك عرابى بتعيين شريف باشا رئيس الوزراء لإخلاصه وحُبِه للحرية وللدستور فوافق الخديوى .



ونجحت الحركة نجاحا هائلا ، فهتف الجميع فى سعادة : لقد تحققت مطالب الأمة . . وانصرف الجيش . . وتهيأت البلاد لاستقبال عهد يسود فيه الإصلاح والنظام ، وَفَرِحت الجماهير فى كافة أنحاء مصر وأصبح إسم عرابى على كل لسان فتحققت له زعامة الأمة .

وبدأت الوزارة الجديدة ، وقررت سفر قادة الحركة الوطنية الى دمياط والاسكندرية ورأس الوادى ، ووافق عرابى على سفره مع فرقته الى رأس الوادى بعد أصدار أمر الخديوى بانتخاب مجلس شورى النواب ، وبالفعل سافر عرابى الى رأس الوادى فى ٨ أكتوبر بعد صدور موافقة الخديوى ودعوة مجلس شورى النواب .

وهتفت الجماهير باسم عرابى فى كل مكان وكان سفر القطار الى رأس الوادى مظاهرة شعبية للجماهير التى أحاطت بالقطار فى كل محطة ، فوزعت الجماهير الزهور والحلوى ، وهتفت باسم عرابى وخطب فيهم عبدالله النديم ـ خطيب الثورة ـ وكذلك خطب فيهم عرابى .

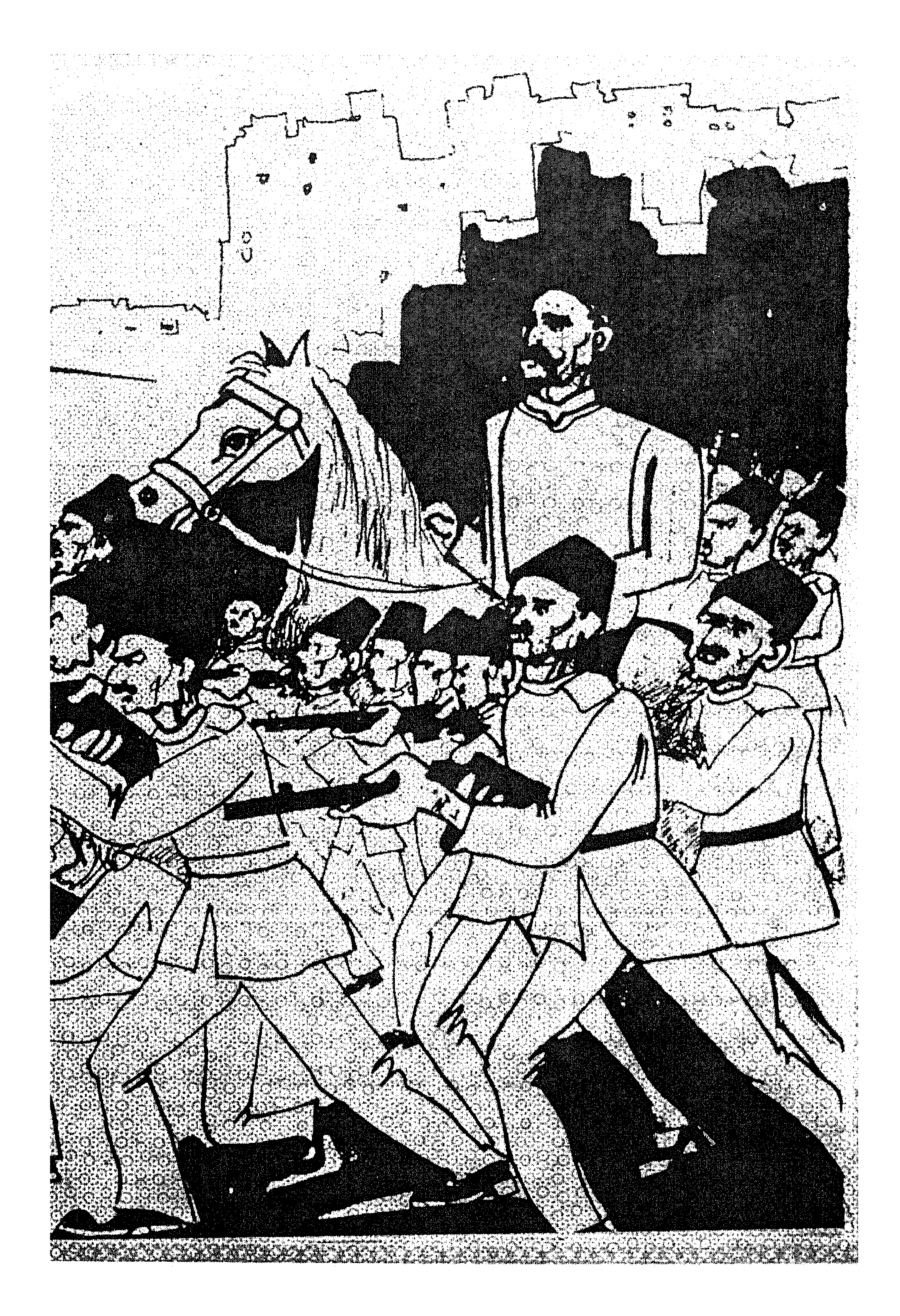


وكان الخديوى يُضْمر الشَّر للحركة الوطنية وينتظر الفرصة للقضاء عليها ورغم افتتاح مجلس الشورى فى ٢٦ ديسمبر عام ١٨٨١ ، إلا أن إنجلترا وفرنسا لم تعجبهما الحركة الوطنية وقاما بمظاهرة بحرية فى ميناء الاسكندرية . وبدأت إنجلترا وفرنسا فصلا جديدا فى التدخل السافر فى شئون مصر ، فأصدرت إنجلترا وفرنسا

المذكرة المشتركة فى يناير عام ١٨٨٢ ، والتى جاء بها إن حكومتى انجلترا وفرنسا اتفقتا على منع كل أسباب ارتباك السياسة الداخلية والخارجية بمصر . وقَبِلَ الخديوى المذكرة ورفضها الشعب كله ، فاتحدت الأمة خلف عرابى الذى تولى منصب وكيل وزارة الحربية ، كما تمسك أعضاء مجلس الشورى بموقفهم بإستقلال مصر الكامل ورفض المذكرة ، واضطرت وزارة شريف الى الاستقالة وتولى محمود سامى البارودى رئاسة الوزارة فى ٥ فبراير عام ١٨٨٢ وتم اختيار عرابى وزيراً للحربية وبدأ عرابى عمله الجديد ، فبدأ تنفيذ قوانين الاصلاحات العسكرية ، وتمت ترقية الضباط الوطنيين ، وحصل على رتبة اللواء الكثير من القادة مثل على فهمى وعبد العال حلمى وطلبه عصمت وعلى الروبى ويعقوب سامى . وثارت العناصر الشركسية لهذه الترقيات ، ولكن عرابى اتجه للإصلاحات ، فبدأ فى اصلاح الحصون وَنَظَمَ المدفعية وبَعَثَ فى وزارته النشاط والحيوية .

وحققت وزارة البارودى آمال البلاد وصدر العهد الدستورى ليكون أَوَلَ دستور يحكم مصر ، وقررت إلغاء الكرباج الذى كان يُلْهِبَ ظهور الفلاحين ، فتحرر المواطن المصرى وفرح أهل مصر جميعاً وبدأت الديمقراطية . . . ولكن الخديوى وانجلترا وفرنسا حاربوا الوزارة وكثرت الدسائس ، وحاولت فرقة من الشراكسة إغتيال عرابى ولكنهم انكشفوا وحكمت عليهم المحكمة العسكرية وَخَفَفَ الخديوى الأحكام ، وحاولت الوزارة الاحتكام لنواب الشعب فخذلهم النواب ولم يجتمعوا ، فاستقال البارودى ولكن عرابى والوزراء صمموا على الصمود ، وقَادَ عرابى حملة وطنية فانتصرت الأمة من جديد ببقاء الوزارة .

وبدأ التدخل الفرنسى الإنجليزى فى شئونِ مصر ، فوصلت السفن الفرنسية والانجليزية يوم ١٥ مايو الى الاسكندرية ، رغمَ رفضُ الشعب المصرى لها ، وبدأت مساعى إنجلترا لإقالة الوزارة الوطنية ، وحاولت الوزارة الوقوف الى جانب الخديوى ضد التدخل الاجنبى ولكن موقف الخديوى كان قويا بوصول الأساطيل لتأييده . . وَرَفَضَ عرابى وزملاؤه الاستقالة لأن مصر فى حاجة لجهودهم .





وأسرعت الدولتان بالتدخل السافر مرة أخرى بإرسال المذكرة المشتركة الثانية فى ٢٥ مايو ، والتى طلبتا فيها خروج عرابى وزملائه من مصر وإستقالة الوزارة ، وكشف الخديوى عن نواياه فوافق على المذكرة ورفضتها الوزارة وأيدها الشعب المصرى كله . . وكانت إستقالة الوزارة نتيجة موافقة الخديوى فى ٢٦ مايو عاما ١٨٨٢ ، وهزت الاستقالة البلاد كلها وسخط الناس على الخديوى توفيق لقبوله المذكرة .

وحاول الخديوى تشكيل وزارة فلم يستطع ، وأحس الناس ببدء العاصفة والخوف بعد استقالة وزارة البارودى ، وحاول الخديوى أن يلغى كل ماعمله عرابى من إستعداد جاد للقوات المصرية ، ولكن إرادة الأمة والجيش وقناصل الدول المختلفة ونواب الأمة اجتمعت على ضرورة بقاء عرابى وزيرا للحربية لاستتباب الأمن والنظام وخاف الخديوى على حياته ، فأصدر قراراً بعودة عرابى وزيرا للحربية ،

وعاد عرابى فطمأن القناصل بالأمن والراحة لجميع السكان ، وطلب من الخديوى إستكمال إستعداد الجيش فوافق مرغما ، وبدأ جمع عساكر الإمداد والاحتياطى .

وكان السلطان العثمانى يراقب الموقف فى مصر ، فأنعم على عرابى بأكبر وسام وهو« الوسام المجيدى الأكبر » كما أنعم على بعض ضباط الحركة الوطنية بالأوسمة ، وبالفعل تسلم عرابى وسامه فى ٤ يوليو ١٨٨٢ وقد سلم الوسام لعرابى الخديوى توفيق !!

وبدأت الدسائس والمكايد بمأساة الاسكندرية التى بدأت فى ١١ يونيو ١٨٨٢ فى صورة مشاجرة بين مواطن من الاسكندرية ومالطى من سكان الاسكندرية بعد رفض المالطى دفع أجرة إستئجار حمار من المواطن المصرى وأخذ سكينا طعن به المواطن عدة طعنات ، فمات المصرى على الفور ، فتعقبه بعض المواطنين وفوجئوا بالرصاص يطلق عليهم من العمارات ، فأصر المواطنون على الإنتقام بإلقاء الحجارة على كل من قابلوهم من الأجانب ، وكانت إشتباكات دامية فى كافة مناطق الاسكندرية ونهبت بعض الدكاكين وتصايح المواطنون « جاى يامسلمين جاى !! بيقتلوا إخواننا » وبلغ عدد القتلى ٧٥ من مواطنى الاسكندرية و١٦٣ من الأجانب .

وحاولت القوى الاجنبية إلصاق تهمة إشعال الفتنة بعرابى رغم أن محافظ الاسكندرية من أنصار الخديوى وساعد على تفاقمها ، وإستطاع عرابى أن يدخل الجيش ليعيد الهدوء للاسكندرية . كما رفض المندوب الإنجليزى المشاركة فى لجنة



التحقيق حتى تنهار مهمتها ولا يصلوا لمدبرى الأحداث .

وحاول عرابى تدارك الفتنة ، فأرسل لقادة الجند يدعوهم لليقظة وحفظ النظام والحفاظ على الأهالى والأجانب ، وأحبط عرابى وجنوده محاولات أخرى للفتنة من جانب بعض الأجانب .

وفجأة ، وفى وسط الأحداث ، سافر الخديوى للاسكندرية فى ١٣ يونيو بحجة الاصطياف ، وفى الحقيقة كان يرغب فى حماية الاساطيل الفرنسية الانجليزية ، وإنتشرت الشائعات وأصدر عرابى بيانا يناشد فيه الناس الاطمئنان والهدوء .

وفى ظل هذه الأحداث ، تزايدت قوة عرابى وحب الجماهير له فكان الناس يهتفون بإسمه فى كل مكان « الله ينصرك يا عرابى » وإلتفت الجماهير حوله . وتولى راغب باشا رياسة الوزارة فى ٢٠ يونيو وعين عرابى وزيراً للحربية ، وحاول راغب باشاأن يحكم بالدستور ويضع خطة للاصلاح ولكن الانجليز قابلوا الوزارة بجفاء شديد وعادوا لنغمتهم القديمة وهى أن الوزارة خاضعة للحزب العسكرى بقيادة عرابى .

وإنتهزت إنجلترا فرصة عقد مؤتمر دولى بالآستانة بتركيا لبحث المسألة المصرية ، ورغم أن المؤتمر قرر عدم إنفراد دولة بالعمل العسكرى فى مصر إلا أن إنجلترا قامت بزيادة سفنها الحربية فى ميناء الاسكندرية ، وخططت لاحتلال مصر . فطلبت إنجلترا بوقف إصلاح بعض الحصون المتهدمة بالاسكندرية ، ولما توقفت الاصلاحات ، هددت إنجلترا مرة ثانية بأنها ستوقف أى عمل بالقوة المسلحة رغم أن الحصون فى الأراضى المصرية !!!!

وظلت إنجلترا توسع فى موضوع التحصينات وتهدد بالضرب حتى جاء يوم ٩ يوليو ١٨٨٢ عندما طلب رئيس الحملة البحرية الانجليزية من السلطات المصرية تسليم الحصون للبحرية الانجليزية بقصد تجريدها من السلاح .

وعقد مجلس الوزارة إجتماعا برياسة الخديوى ولم يحضره عرابى ، ورفض الجميع طلب إنجلترا ؛ لأن هذا يتعارض والكرامة القومية ، وقرر المجلس الاتصال بالقائد الإنجليزى لرفع ثلاثة مدافع من ثلاثة حصون دليلا على حسن النية ، ولكن القائد الانجليزى رفض فى غطرسة شديدة وصمم على رفع جميع المدافع ، كما طلب إعطاءه بعض الحصون لاتخاذها معسكرا للجنود الانجليز فى العجمى والمكس وباب العرب . ورفض مجلس الوزراء إرسال الرد النهائى على الانذار أوضحوا فيه أن مصر لم تفعل شيئا يقتضى إرسال هذه الأساطيل ، كما قرر مجلس الوزراء عدم الرد على الضرب إلابعد الطلقة الخامسة من القوات الانجليزية .

وفى صباح يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ ، تم الاعتداء الآثم على الاسكندرية ، وأطلق الجنرال سيمور قائد الاسطول أولى قذائفه على المدينة ، وبدأت الحصون المتهالكة تدافع وتتبادل النيران وكان الحراس فى همة ونشاط رغم مدافعهم القديمة ، ورغم عنف المدافع الانجليزية وشدة تدميرها وقدرة السفن على المناورة .

وظل تبادل النيران حتى السادسة مساء وكانت المقاومة المصرية شديدة وكانت أغلب الحصون قد تهدمت من شدة القصف البحرى الإنجليزى . وفى اليوم التالى عاد الانجليز للضرب رغم أن مجلس الوزراء ناشد القائد الانجليزى عدم الضرب لأن الحصون تهدمت وتحقق هدف الإنجليز ، ورفعت الأعلام البيضاء ولكن القائد الانجليزى طلب تسليم الحصون له وإلا إستأنف الضرب .

وإستمر الضرب فى يوم ١٢ يوليو حتى الساعة السادسة مساءً ، وبلغ عدد القتلى من المصريين حوالى ألفين ، وتهدمت أغلب مبانى الاسكندرية ، وإندلعت النيران بها فى صورة مروعة ، وكان وراء حريق الاسكندرية مدافع الانجليز وبعض الجنود والبدو وبالطبع إتهم الإنجليز عرابى بحرق الاسكندرية ، وبرأه التحقيق بعد ذلك . وكان الخديوى يتتبع أنباء القتال .

وبعد إحتلال الإنجليز للاسكندرية ، إنتقل الخديوى الى سراى رأس التين وإستقبله قادة جيش إنجلترا أروع إستقبال وأصبح فى حمايتهم وحراستهم .

أما عرابى فذهب مع جنوده الى كفر الدوار لإعداد خط الدفاع الجديد لأن الاسكندرية لم تعد تصلح ميدانا للقتال ، واستطاع عرابى أن يحشد حوالى عشرة آلاف جندى . وحاول الخديوى استدراج عرابى للاسكندرية للقبض عليه ، ولكن عرابى رفض لخيانة الخديوى وتحداه وتحدى الانجليز . . وكان مع عرابى الشعب كله الذى يدعو فى كل مكان « الله ينصرك ياعرابى » . وأرسل عرابى برقيات

للمديريات يعلنهم فيها إنضمام الخديوى للانجليز ويحذرهم من إتباع أوامره لأنه أسير والوزراء أسرى عند الانجليز . كما عقدت فى القاهرة جمعية من العلماء وكبار رجال الدولة للنظر فى الأمر ، حيث اجتمع وكلاء الوزارة بالقاهرة وكبار الموظفين والضباط كمجلس عرفى ليدير شئون البلاد وحضر الاجتماعات شيخ الاسلام ومفتى مصر وقاضى القضاة ، وتشاور الجميع وإتخذوا قراراً بإستمرار اعداد العدة للقتال . وكان رد فعل الخديوى اصدار قرار فى ٢٢ يوليو بعزل أحمد عرابى من وزارة الحربية .

ولكن مصر كلها ، لم تهتم بقرار الخديوى وتمسكت بعرابى والتفت حوله ، وإنعقد المجلس العرفى مرة ثانية فى ٢٢ يوليو شهده مسلمو مصر وأقباطها وكبار رجالها وإنتهى الاجتماع إلى عدم الاعتراف بقرار الخديوى بعزل عرابى ، كما أعلن فى الاجتماع فتاوى شرعية بأن الخديوى يعتبر مارقاً وخارجاً عن الاسلام بإنحيازه للانجليز .

ورابط عرابى عند كفر الدوار بعد عمل الاستحكامات القوية وحفروا خندقاً عرضه ٤ أمتار ، وجعل خط الدفاع عند عزبة خورشيد ، وأعد الاستحكامات محمود باشا فهمى وبمساعدة ٦ آلاف متطوع . وكانت التبرعات تنهال على الجيش ، فلم يكلف الجيش الحكومة مليما واحدا .

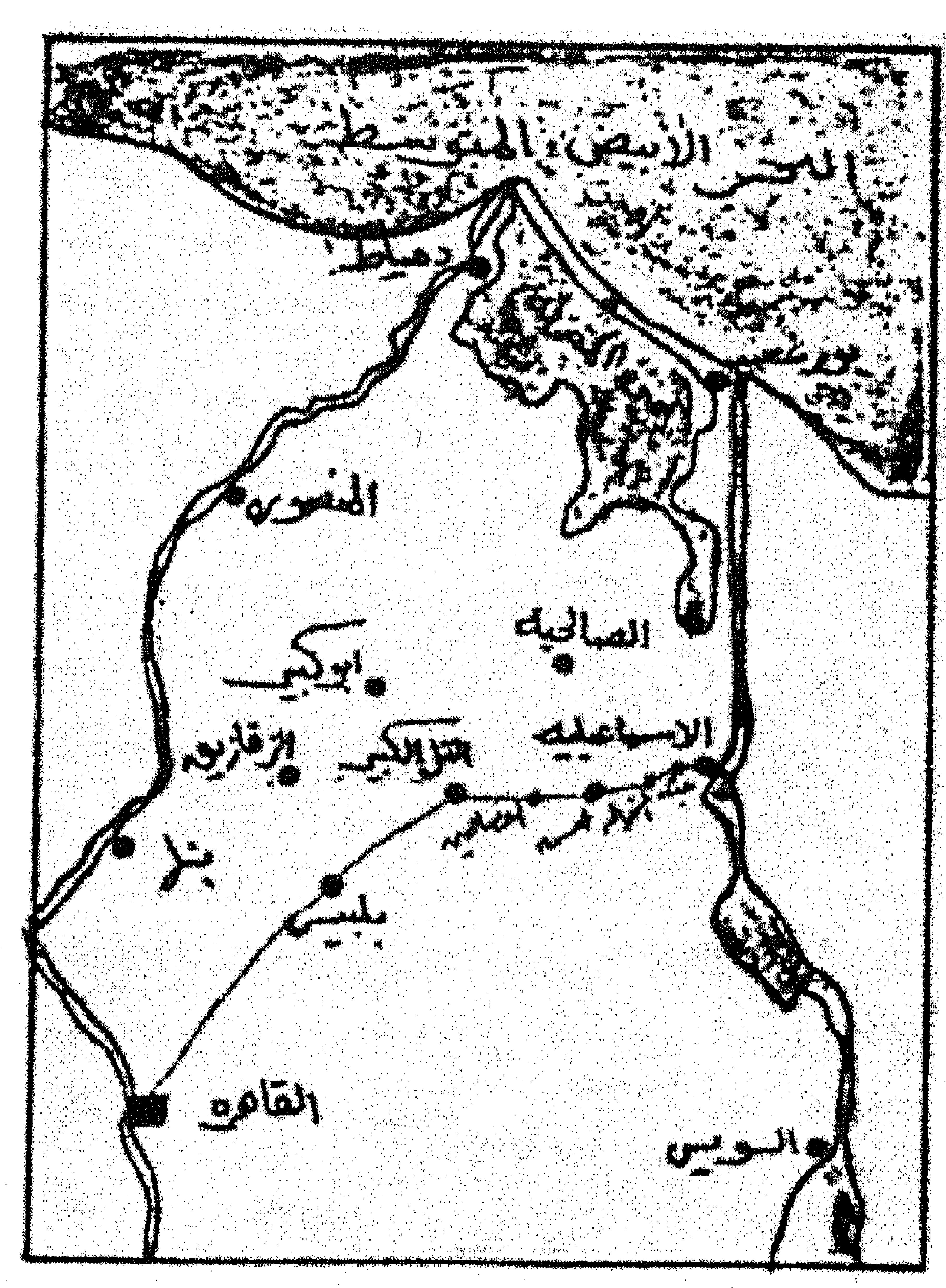
وجاءت إمدادات الإنجليز لتهاجم قوات عرابى فى ٥ أغسطس ، ولكن القوات المصرية تصدت لهم وأوقفوا زحفهم وعاد الانجليز للاسكندرية يجرون أذيال الهزيمة ، ثم عادوا فى اليوم التالى بقوات أكبر وإرتدوا مهزومين بعد أن زاد عدد قتلاهم على مائة قتيل ، وفى ١٩ أغسطس عاد الإنجليز بكل قواتهم وإلتحم الجيشان المصرى والانجليزى ، ودارت معركة شرسة وسجل المصريون بطولة كبيرة فى صد القوات الغازية وإستطاعوا إلحاق الهزيمة الكبيرة بالجيش الإنجليزى .

وأيقن الانجليز أنهم سيفشلون فى هزيمة عرابى وقواته فى كفر الدوار ، فبدأوا فصلا جديدا من الخديعة والدسيسة والمؤامرات فعملت على جبهتين : الأولى العمل والتحول العسكرى بسرعة عن طريق قناة السويس والثانى البدء برشوة بعض كبار رجال الجيش وبعض البدو ومشايخ البدو فى المنطقة لضرب وطعن عرابى والجيش المصرى من الخلف ،



وكان ديليسبس رئيس شركة قناة السويس قد أعلن حياد القناة وأن فرنسا لن تسمح لانجلترا أو لغيرها بإستغلال القناة فى أعمال حربية وتعهد بذلك لعرابى ، ولكن حكومة فرنسا خذلت ديليسبس ولم تستطع تنفيذ تعهدها بعد أن رفض عرابى ردم القناة بعد التعهد الفرنسى .

وسرعان ما أرسلت إنجلترا فى ٢٠ أغسطس حملة بحرية الى بورسعيد تتكون من ٣٠ ألف جندى ، إستطاعوا إحتلال بورسعيد وإقتحموا القناة وجاءتهم قوات من الهند عن طريق السويس . فأرسل عرابى محمود باشا فهمى لبناء ما يمكن بناؤه من إستحكامات ودفاع فى التل الكبير والصالحية وبعض المواقع الأخرى .



خريطه توضح أهم المعارك التى دارت
مع الانجليز وطريق دخولهم القاهرة

وبسرعة إحتلت إنجلترا الاسماعيلية يوم ٢١ أغسطس وأنزلت جنودها وعتادها لبداية الزحف للقاهرة . وأمر عرابى بردم القناة فلم يستطع الجنود ذلك نظرا لشدة القصف ، وإستطاعت قوات إنجلترا إحتلال نفيشة فى ٢٣ أغسطس بعد ضرب مكثف بالقنابل من جانبهم . ثم دارت معركة أخرى بين الجيش المصرى والانجليزى عند بلدة المسخوطة فى ٢٥ أغسطس وأبلى الجيش المصرى بلاءً حسنا ولكنه إضطر للإنسحاب بعد أن تم أسر رئيس أركان الجيش المصرى المهندس محمود باشا فهى . ثم واصل الانجليز زحفهم ، فاستولوا على المحسمة فى نفس اليوم . وإستطاعوا دخول القصاصين بعد مقاومة ضئيلة واستولوا على أسلحة كثيرة للجيش المصرى .

ووصل عرابى الى التل الكبير ووجد جنوده حوالى ١٣ ألف جندى ، فقرر عدم الاكتفاء بالدفاع والبدء بهجوم شامل فى ٢٨ أغسطس فشنت القوات المصرية حملة شديدة على المواقع الانجليزية فى القصاصين ودار قتال شديد وتحمس جنود مصر البواسل وإستطاعوا تحقيق بعض الانتصارات ، وإستمر القتال حتى الليل وظهرت الشجاعة الفائقة لجنود مصر ولكن القتال توقف فى الليل .



وعملت إنجلترا أثناء توقف القتال بالرشوة تارة وبالضغط على السلطان العثمانى تارة أخرى حتى إستطاعت إصدار أمر من السلطان يقضى بعصيان عرابى . وحاولوا نشر الخبر بين الضباط والجنود لاضعاف حماسهم وإستمالة القلوب الضعيفة ، وإستطاعوا التأثير بالفعل على بعض الضباط والبدو والمشايخ .

ومع ذلك وضع عرابى خطة جريئة للهجوم على الإنجليز ، وكانت خطة محكمة تبدأ بالهجوم المباغت فى منتصف الليل ، ولكن أحد الضباط ويدعى يوسف خنفس أخذ الخطة بخط عرابى وسلمها للانجليز ، فعرف العدو الخطة وإستعد لها ، وعندما زحفت القوات المصرية لمباغتة الجيش الإنجليزى فوجئت به يحتل كل الطرق الرئيسية وفوجىء الجيش المصرى وعرف أن خطته قد إنكشفت ، ولكن الجيش صمد بعد قتال ضار بالمدفعية والسلاح وتكافأت القوات رغم تفوق عدد الإنجليز ، وتأخرت فرقة البارودى عن الوصول لمهاجمة ميمنة العدو حسب الخطة بسبب الخداع . ورغم ذلك صمد الجيش المصرى وهجم ببسالة وإنتهت المعركة بإنسحاب الجيش ورغم الخيانة والخداع والدسائس لم تستطع إنجلترا هزيمة الجيش المصرى .

وسعى الخديوى لمزيد من شق الصفوف ، واستمر عرابى فى الاستعداد لمعركة التل الكبير ، وظل يترقب هجوم الانجليز ليدافع عن التل الكبير ، ولكن الخيانة إستحكمت بنقل أخبار الجيش المصرى للانجليز وطمأن عرابى الخونة بأن جيش إنجلترا لن يتحرك هذا المساء يوم ١٢ سبتمبر ، فركن الجيش للراحة .

وتحرك الجيش الإنجليزى بعد منتصف الليل ، بقيادة مرشدين من الضباط المصريين وفى خطوط تم إخلاؤها لهم حتى فاجأوا الجنود المصريين وهم نائمون فى خطوطهم ، فإستيقظوا على أصوات النار والمدافع وهى تحصدهم فى الرابعة صباحا ، وكان الجيش الإنجليزى قد تغلغل فى خطوط المصريين الذين سادهم الذعر ، ومع ذلك ثبت بعض رجال الجيش مثل الشهيد محمد عبيد وحسن أفندى رضوان .الخ ، وحاربوا بإستبسال رائع ، وإستمرت المعركة نحو ٤٠ دقيقة وإستشهد من المصريين نحو ألفين ، أما قتلى الانجليز فبلغ حوالى ٥٧ ضابطا وجنديا .

وحاول عرابى التدخل لتهدئة الجنود ، ولكن الذعر قد استولى عليهم فهربوا من الخوف ، وطلب منه خادمه سرعة الفرار ، فرفض عرابى أولا ، ثم إنطلق لعله يستطيع تجميع القوات فى بلبيس . ولم يستطع هناك جمع أحد فإنطلق ومن معه الى إنشاص وركبوا القطار للقاهرة .

ورغم الهزيمة ، فلم يكره المصريون عرابى ، وقال الشعب « الولسى كسر عرابى » تعبيرا عن الغش والخداع والخيانة والدسائس التى وضعت أمام جيش عرابى ، ورغم ذلك صمد الجيش المصرى صمودا رائعا يعبر عن قدرة الإنسان المصرى .

ووصل عرابى للقاهرة ، وطلب منه المجلس العرفى الدفاع عن القاهرة ولكنه لم يجد سوى ٤٠ جنديا من السوارى ، فعرف أن الجنود هربوا من الجيش ، فرأى أنه حقناً للدماء وحفاظا على القاهرة من الدمار والخراب ، أن يقرر تقديم نفسه فداءً للأمة المصرية .

وتقدم المجلس العرفى بإلتماس للخديوى بوقف الحرب وعدم دخول الانجليز للقاهرة فرفض الخديوى . وبالفعل دخل جنود إنجلترا القاهرة فى عصر ١٤ سبتمبر ولم يجدوا أية مقاومة وسلم عرابى نفسه أسيرا للقوات الإنجليزية مع زملائه .





ودخل الخديوى العاصمة وسط جنود الاحتلال فى موكب ضخم يوم ٢٥ سبتمبر ، وعومل عرابى معاملة قاسية فى سجنه ، وسلم الى السلطات المصرية التى شكلت محكمة لمحاكمته ، ولم يجرؤ أى محام مصرى للدفاع عنه خوفا من انتقام الخديوى لأن البلاد سادت فيها الوشاية وأدخل السجون كل وطنى .

وحضر من انجلترا محاميان للدفاع عن عرابى وزملائه ، وبذلا جهدا كبيرا حتى أوضحوا أن جميع التهم من تدبير فتنة الاسكندرية وإحراقها وعصيان أوامر الخديوى ملفقة وليس لها أى دليل ، واستطاع عرابى بالصبر على الاهانات والتعذيب أن يصل الى بر الأمان .

●○●○●○●

وبالفعل لم تجد حكومة الخديوى شيئا تحاكم به الزعيم أحمد عرابى ، فحاولت مساومة الزعيم ، ونجحت عملية المساومة بفضل المحاميين الانجليزيين ، وقبلت الحكومة العفو عن عرابى وزملائه ونفيهم بشرط الاعتراف الشكلى بالعصيان .

●○●○●○●

وبالفعل ، إستغرقت المحاكمة ربع ساعة فقط وفيها إعترف عرابى بالعصيان وقضت المحكمة بإعدامه وخفض الخديوى الحكم فى نفس الجلسة الى النفى مع الأسرة لخارج البلاد مع تجريده وتجريد زملائه من جميع الرتب والأملاك فى مصر . وكانت المحاكمة فى ٣ ديسمبر عام ١٨٨٢ . وكذلك حكم على زملائه بالنفى معه ، وهنأ الناس عرابى بهذا الحكم ، وصلى عرابى صلاة الشكر .

●○●○●○●

وذهب عرابى وزملاؤه الى جزيرة سيلان التى نزل فيها سيدنا آدم من الجنة ، وهى جزيرة كبيرة ينتشر بها الاسلام ، ووصلها عرابى فى ٩ يناير عام ١٨٨٣ واستقبله أهلها وحاكمها استقبالا حافلا ، وأمضى عرابى وزملاؤه ما يقرب من ١٩ عاما عاشها بين السكان يعلمهم اللغة العربية والدين ويتعلم اللغات الاجنبية ، وأسس مدرسة هناك وهى « المدرسة الاسلامية » لتعليم أبناء الجزيرة .



وفى جزيرة سيلان ، توفى عبد العال حلمى فى عام ١٨٩١ ودفن هناك وحزن الجميع على وفاته ، وكذلك مات محمود فهمى فى ١٧ يوليو عام ١٨٩٤ ، كما توفى يعقوب باشا سامى فى أكتوبر ١٩٠٠ ودفن هناك .

وزاره فى الجزيرة ولى عهد إنجلترا چورج الخامس ، فطلب منه عرابى السعى للعفو عنه وعودته الى مصر ، وفى ٢٤ مايو عام ١٩٠١ أصدر الخديوى العفو عن عرابى .

وودع أهل الجزيرة عرابى وداعا كبيرا ، ووصل إلى السويس فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٠١ .

وعاد عرابى ليجد أن الاحتلال الانجليزى ما يزال يسيطر على مصر وأن الدستور قد مات ، وأن الحركة الوطنية بدأت تصحو على يد مصطفى كامل .

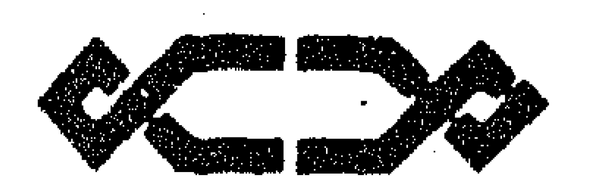
وظل عرابى يتعبد ويكتفى بالعبادة والصلاة والاعتكاف حتى توفى فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩١١ ولم يكن عند أولاده ما يكفى لتجهيزه ودفنه ، فإضطروا الى تأجيل إعلان النبأ حتى اليوم التالى حتى قبضوا المعاش فإستطاعوا دفنه .

وسارت جماهير شعب مصر فى جنازة الزعيم أحمد عرابى صامتة خاشعة تقديرا لبطولته ،

أصدقائى . . .

لقد دفع عرابى راحته واستقراره ثمنا لفداء الوطن ، ورغم الشائعات التى أطلقها الأعداء بأنه سبب الاحتلال ، فإن الاحتلال إستمر حتى عام ١٩٥٤ حتى تم الجلاء فى ١٨ يونيو حيث إستمر سبعين عاما تقريبا .

إنه بطل وزعيم وصاحب أول صيحة من أجل الدستور فى مصر . . من أجل مصر للمصريين ووطنا خالصا لهم جميعا .



أصدقائى . . .

عشنا لحظات مع الشاعر والمؤرخ والناقد محمود الخفيف الذى ولد عام ١٩٠٨ فى ريف مصر بقرية تابعة لمركز الشهداء بمحافظة المنوفية . تعلم فى المدرسة وفى الأزهر الشريف ، ثم ذهب الى مدرسة شبرا الثانوية ، ونبغ فى الشعر ، ثم التحق بكلية التربية « مدرسة المعلمين العليا سابقاً » وحصل على المؤهل وكان ترتيبه الأول .

والتحق بوزارة المعارف مدرسا للمواد الاجتماعية ، فألقى على التلاميذ دروسا فى الوطنية متخذا من التاريخ الدروس والعبر للوصول بالشباب عدة الوطن وذخيرته الى المفاهيم الوطنية الصحيحة .

وكان شعلة نشاط وحيوية فى كافة مجالات الأدب ، فبرع فى الشعر فكتب أكثر من مائتى قصيدة ، منها قصيدة « شهيد كربلاء » التى يزيد عدد أبياتها على ثلثمائة بيت من الشعر ، وكذلك برع فى القصة القصيرة وفى النقد الأدبى وفى التاريخ السياسى لعظماء العالم .

ونظرا لمكانته الكبيرة بين أدباء هذا العصر مثل طه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد وأحمد حسن الزيات ومحمود غنيم وغيرهم ، تولى إدارة تحرير مجلة « الرسالة » التى كانت شعاعا ثقافيا ضخما ، وتولى القسم الأدبى بها ، كما تولى رئاسة تحرير مجلة الرواية التى أصدرتها مجلة الرسالة .

ومحمود الخفيف له كتب عديدة مثل « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه »الموجود بين أيديكم والذى قدمه قائلا « أما آن للتاريخ أن ينصف هذا الزعيم الفلاح » وشردته الحكومة نتيجة دفاعه عن عرابى لأن الحكومة آنذاك كانت حكومة أسرة محمد على المالكة التى تصدى لنفوذها أحمد عرابى ، ومن كتبه « من وراء المنظار » وهو كتاب نقد اجتماعى للمظاهر الاجتماعية المختلفة فى مصر ، وكذلك له كتب عن « تولستوى » و « ملتن » و « لينكولن » . غير عرضه للعديد من الكتب وإشرافه على إصدار العديد من الكتب فى التاريخ والجغرافيا للتربية والتعليم ، كما كان أحد رؤساء ومؤسس مجلة الرائد لسان حال المعلمين فى مصر .



كما ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الايطالية ، وكتب عن « ميرابو » و« الشاعر كولى » و « بيردن صاحب نشيد الحرية » و « شريف باشا » .

وكان الخفيف جريئا فى الحق ، وتميز بثقافته الواسعة حتى توفى فى ٢٩/١٠/٦١ وهو يؤدى واجبه مديرا المدرسة الابراهيمية الثانوية .



رقم الإيداع : ١٠٣٦٦/٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6339 - 3

طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولاحدود ولاموعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل ـ للشاب ـ للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة ... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩



٥٠ قرشاً